

الحلقة السابعة والسبعون

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلما أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، وذلك لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

تحدثنا في اللقاء السابق عن عدة أمثال تطرقت إلى مواضيع شتى. فتكلمنا عن ضرورة الإجتهد للنجاح في الحياة. وأن الجاهل هو الذي يفجر غضبه، بينما الحكيم يسيطر عليه. وأن الغضب يهيج الخصام. وتحدثنا أخيراً عن عذاب الضمير، وكيف أن المخلص المسيح هو الذي يعطي الراحة.

مستمعي الكريم، هل تنظر إلى نفسك بإعجاب وتتكبر على الآخرين؟ أم تراك تعرف مركزك وتتضع؟ وهل تعلم النتائج الوخيمة للكبرياء؟ وفي المقابل النتائج الجيدة للتواضع؟ كتب سليمان الحكيم هذا المثل فقال: "كبرياء الإنسان تضعه والوضع الروح ينال مجداً." (أمثال ٢٨: ٢٣) إن الإنسان المتكبر لا بد أن يأتي يوم ويجد نفسه مجبراً على التنازل عن كبريائه، ويوضع في مركزه الحقيقي المتواضع. وفي المقابل إن الإنسان المتضع سيأتي يوم يرفعه الآخرون إلى مكانة أفضل مما وضع فيه نفسه.

ولهذا قال المخلص المسيح: "لأن كل من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع." (لوقا ١٤: ١١) وسبق لسليمان الحكيم أن كتب في هذا المعنى أيضاً: "قبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ الروح." (أمثال ١٦: ١٨) فنتيجة لكبرياء الإنسان وتشامخه يكون السقوط. هل تعلم مستمعي أن الله يكره المتكبرين ومتشامخي القلب؟ لكنه يبارك المتواضعين؟ وهل تعلم أيضاً أن سبب سقوط إبليس الشيطان كملك الله في السماء هو تكبره وتشامخه؟ فعلياً أن نحذر من الكبرياء ونبتعد عنه، وأن نكون متواضعين لكي ننال نعمة وبركة من عند الله.

مستمعي الكريم: كيف نحصل على الأمان والاطمئنان في حياتنا؟ كتب سليمان الحكيم هذا المثل قائلاً: "الخشية من الناس فح منصوب، أما المتكل على الرب فأمن." (أمثال ٢٩: ٢٥) إن الناس لا يستطيعون أن يعطونا الأمان، بل على العكس فإن الفخاخ ينصبون دائماً أمامنا. لهذا "قال الرب. ملعون الرجل الذي يتكل على الإنسان ويجعل البشر ذراعاً عنه وعن الرب يحيد قلبه."

(إرميا ١٧:٥) أجل، إن الله وحده هو الذي يعطينا الأمان، عندما نتوجه إليه ونثق به. لأن الاتكال عليه هو المصدر الحقيقي للأمان والاطمئنان. فهل تراك مستمعي تتكل على الله في كل أمور حياتك؟

هل تسرع في كلامك يا صديقي؟ وهل تعلم أننا كثيراً ما نندم على كلمة قلناها وبعد فوات الأوان؟ إن التأني في الكلام، هو من الأمور الهامة في حياتنا اليومية. وها هو سليمان الحكيم يكتب هذا المثل قائلاً: "أرأيت إنساناً عجولاً في كلامه. الرجاء بالجاهل أكثر من الرجاء به." (أمثال ٢٩:٢٠) إن العجلة أو التسرع بالكلام هو صفة سلبية، إلى درجة أن الحكيم يقول أن هناك رجاء بالجاهل أكثر من الرجاء بالإنسان المسترع بالكلام. والسبب لأن الذي يسرع بكلامه يوقع نفسه في مآزق عديدة كان من الأفضل له أن يتجنبها. وهو في هذه الحالة أسوأ من الجاهل.

لقد خصص الرسول يعقوب من رسل المسيحية الأوائل قسماً هاماً من رسالته للحديث عن الكلام وخطره. فكتب قائلاً: "إن كان أحد لا يعثر في الكلام فذاك رجل كامل قادر أن يلجم كل الجسد أيضاً. هوذا الخيل نضع اللجم في أفواهها لكي تطوعنا فندير جسمها كله. هوذا السفن أيضاً وهي عظيمة بهذا المقدار وتسوقها رياح عاصفة تديرها دفعة صغيرة جداً إلى حيثما شاء قصد المدير. هكذا اللسان أيضاً هو عضو صغير ويفتخر متعظماً. هوذا نار قليلة أي وقود تحرق. فاللسان نار عالم الإثم. هكذا جعل في أعضائنا اللسان الذي يدنس الجسم كله ويضرم دائرة الكون ويضرم من جهنم." (رسالة يعقوب ٣:٢-٦)

يبدأ الرسول يعقوب بالقول: أن الذي يستطيع أن يحفظ كلامه يعتبر إنساناً كاملاً أو حكيماً. فإذا كان يقدر على التحكم بكلامه، فإن هذا يعني أنه يستطيع ضبط أهواء نفسه. لأن السيطرة على الكلام هو من أصعب الأمور. ثم شبه الرسول يعقوب دور الكلام أو اللسان في جسم الإنسان، كدور اللجم في أفواه الخيل، أو الدفة الصغيرة في السفن الكبيرة. ونستطيع في أيامنا الحالية تشبيه الكلام بالمقود في السيارة ومهما كانت كبيرة، أو بالمقود في الطائرة الضخمة. فكما أن اللجم أو الدفة الصغيرة أو المقود يوجهوا الخيل أو السفينة أو السيارة والطائرة إلى الاتجاه الذي نريد، هكذا اللسان في أعضائنا بالرغم من صغره، يستطيع أن يقودنا إلى ما لا تحمد عقباه. إذ بألفاظه الجيدة أو القبيحة التي تصدر عنه، قد يقودنا إلى نتائج لم نخطط لها مسبقاً.

لنلاحظ مستمعي كيف وصف الرسول يعقوب اللسان، إذ قال أنه نار عالم الإثم. وهو يدنس الجسم كله. والسبب لأنه من الصعب جداً السيطرة عليه، وهو في هذه الحالة يقع بسهولة في الشر والخطيئة. وعندئذ يدنس الجسم كله، أي يوقع الجسم كله في

الشر. وأمام هذه الحالة أكد الرسول يعقوب قائلاً: "أما اللسان فلا يستطيع أحد من الناس أن يذله. وهو شرٌّ لا يُضبط مملوءاً سمّاً مميتاً." (رسالة يعقوب ٨:٣) وهو بهذه الحقيقة كشف خطورة الأمر، ووضع علينا المسؤولية الكاملة لكي نتحرر من سطوة اللسان قبل أن يسيطر علينا ويؤذينا.

هل تعلم مستمعي كيف بإمكاننا أن نتحرر من سطوة اللسان؟ فبما أننا كبشر عاجزون عن السيطرة عليه كما ذكر الرسول يعقوب، ليس أمامنا سوى قوة الله المغيّرة لحياتنا من الداخل، التي وحدها تستطيع أن تكبح جماح اللسان، وتجعله لساناً مهذباً ولطيفاً، ويقول الكلمة المناسبة في وقتها المناسب. إن الله مستعد أن يبدّل قلوبنا وعقولنا لكي نستطيع أن نتكلم الكلام الصحيح. لكن علينا أن نأتي إليه بثقة وإيمان بالمخلص المسيح، طالبين منه أن يجري التغيير في دواخلنا.

فهل تراك تأتي مستمعي إلى الله تعالى طالباً منه أن يبدّل قلبك من الداخل؟ وعندها ستحصل المعجزة ويتبدل كلامك وتتغير ألفاظ لسانك. لقد حصل الكثيرون على هذا الاختبار، اختبار تغيير الله لقلوبهم من الداخل، واكتشفوا كيف بدّل الله كلامهم فجأة، وأصبح لسانهم يتلفظ الألفاظ الحسنة بعد أن كان مليئاً بالشتائم والكلام القبيح. فهل تود مستمعي أن تحصل أنت أيضاً على هذا الاختبار المجيد؟